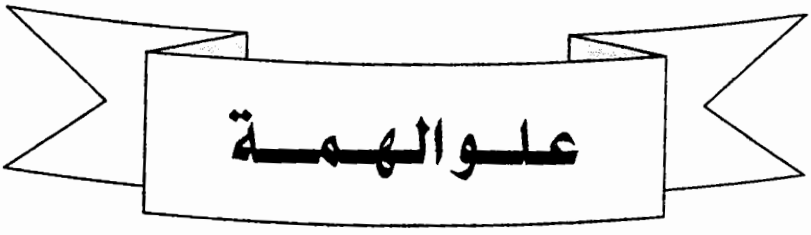

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[المطففين: ٢٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

اعلم أخي الحبيب أن همة المرء إنما تعلو بقدر علو غايته وعظم أهدافه، فمن كانت غايته في التعلم تحصيل شهادة، بلا تعلم ولا إفادة، فسوف تكون همته أضعف الهمم، وسوف يفكر في تحقيق غايته تلك بالطرق السهلة الدنيئة، فهذه الشهادة يمكنه الحصول عليها بغش أو رشوة أو تزوير أو غير ذلك من ضروب الخداع والتلاعب، فإن لم يمكنه تحصيلها بشيء من ذلك، فباللجوء إلى الدروس الخصوصية ونحوها ليقف على أقل ما ينبغي أن يذاكره ليختار الامتحان ويحصل على الشهادة المرجوة.

أما من كانت له همة التعلم والتحصيل، وإسباغ حاجة النفس من غذائها الروحي، وإضاءة جنباتها بنور العلم، فغايته أعظم الغايات، وأشرفها، وأعلاها مراداً، ولذا فهي لا تنال إلا على جسر من التعب والكد والاجتهاد، ولكن يهون ذلك على نفس طالب المجد وخاطب العلياء.

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

ولذا فهو يعد لتلك الغاية عزيمة تليق بعزمه، وهمة تليق بنيته وغايته.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ولا يزال المرء تعلو همته في طلب العلم متدرجاً في سلم الكمال حتى يتحقق له الكمال الإنساني المميز له عن البهائم والحيوانات.

بهذين النوعين: "همة ترقيه، وعلم يبصره ويهديه"[1].

والسبب الذي يجعل كثيرًا من الناس يطلبون الأدنى من الأمور، ويقصدون مالا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا - فساد العلم، وكثرة الجهل، وضعف الهمة، فكلما صح العلم، وانتفى الجهل، وصحت العزيمة، وعظمت الهمة، طلب الإنسان معالي الأمور.

* أسباب علو الهمة:

النصيحة الأولى: تصحيح النية:

اعلم أنك لا تعلو همتك في طلب العلم إلا إذا صحت نيتك فيه، والنية في طلب العلم ينبغي أن تكون عظيمة وذلك نحو:

أ- معرفة الله سبحانه ومشاهدة آثار صفاته:

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾[2].

ومما لا شك فيه أن العلم هو الطريق الموصل لاكتشاف أسرار الكون وآثار الصنعة والإبداع فيه.

ب- القدرة على إثبات حقائق الدين، والإقناع بها بلغة العصر:

لا شك أن الطالب النابغ في تلك العلوم يكون أقدر من غيره على إقناع الملحدين بوجود الله تعالى، ومجادلتهم بالحكمة والحجة الباهرة مستخدماً في ذلك أسلحة الخصوم من تلك العلوم التي برعوا فيها.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٥٩) ابن القيم.

(٢) فصلت: ٥٣.

ج- القيام بواجب كفائي، ورفع الإثم فيه عن المسلمين:

اعلم -أخي الحبيب- أن تلك العلوم غير الدينية من لغة وأدب وطب وهندسة..إلخ قد بين أهل العلم أنها واجبة على الأمة وجوبًا كفائيًّا، بمعنى أنه إذا وجد في الأمة من يقوم بتلك العلوم ويعمل على تقدم الأمة فيها وسد حاجتها إليها فقد ارتفع الإثم عن الأمة، وإلا أثم جميع القادرين في هذه الأمة إذا ما تقاعسوا عن القيام بتلك العلوم.

فعلى طالب العلم أن ينوي القيام بذلك الواجب الكفائي، وسد حاجة الأمة فيه، ورفع الإثم عنهم في ذلك، فينال بذلك أعظم الثواب من الله عز وجل لقيامه بحاجة الأمة.

وعلى الذي يتشكك في حث الإسلام على تعلم العلوم الدنيوية والتقدم فيها أن يراجع تلك النصوص القرآنية؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الحَمْدُ لله الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يأيها النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[3].

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) النمل: ١٥، ١٦.

(٣) الأنبياء: ٨٠.

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١].

وفي السنة نصوص أخر كثيرة حاثة على طلب العلم الدنيوي: ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ كلف زيد بن ثابت كاتبه أن يتعلم اللغة العبرية لأنه لا يأمن اليهود على كتابه فتعلمها زيد بن ثابت رضي الله عنه في شهر.

النصيحة الثانية: انظر إلى من فوقك ولا تنظر إلى من دونك:

إذا أردت علو الهمة في أمر العلم وأمر الآخرة فعليك أن تنظر إلى من فوقك من العلماء وطلبة العلم النابغين والمجتهدين فيه فتأخذك الحمية والغيرة، وتلك حمية وغيرة محمودة ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٢].

قال رسول الله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"[٣].

وهذا بخلاف أمر الدنيا وأغراضها الدنيئة من التنعم بما فيها من المأكل والملبس والمركب ونحوه، فعلى المرء أن يقنع بما آتاه الله تعالى، وينظر إلى من دونه، ولا ينظر إلى من فوقه، كي لا يزدري نعم الله عليه، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ[٤].

---

(١) المائدة: ٤.

(٢) المطففين: ٢٦.

(٣) صحيح: البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٤) صحيح: مسلم (٥/ ٨١٨) ط. الشعب.

النصيحة الثالثة: احرص على ما ينفعك[١]:

على طالب العلم أن يكون جادًّا حريصاً على ما ينفعه، لا يستحي ولا يستنكف أن يسأل عما يجهل، وعما يلتبس عليه فهمه، فإن العلم يضيع بين الحياء والجهل، وعليه ألا يتهاون بدرس أو محاضرة، وألا يحقر مدرسا له بل عليه أن يبجله ويكرمه رجاء أن يفيض عليه بخيره وما عنده من العلم.

النصيحة الرابعة: استعن بالله ولا تعجز[٢].

على طالب العلم ألا ييأس وألاَّ يعجز عن الطلب وألاَّ يصيبه ما يعرف بالعقدة النفسية من مادة بعينها أو مدرس بعينه أو نحو ذلك، وذلك لأن المسلم لا يعرف اليأس؛ لأن لجوءه إلى الله تعالى يفتح له دائماً باب الأمل، فعليك أن تستعين بالله تعالى في كل ما صعب عليك أو ضاق به صدرك من العلوم، فتتوجه إلى الله بالدعاء والصلاة فسرعان ما ينشرح صدرك، ويفيض الله عليك من نوره، وسرعان ما يهديك الله تعالى إلى الأخذ بأسباب الفهم والنجاح.

النصيحة الخامسة: طاعة الله تعالى وامتثال أوامره.

اعلم أن أسباب النجاح والتوفيق بيد الله، وأنه يقول للشيء كن فيكون فالمسلم الطائع لربه يقذف الله تعالى في قلبه نورًا يضيء له غياهب الظلمات، ويكشف له العلوم المغيبات، ولا يصل المسلم إلى ذلك وهو معرض عن سبيل ربه، هاجر لكتابه، مجانب لسنة نبيه ﷺ، بل لا يصل إلى ذلك إلا بالاستقامة والاجتهاد في طاعة الله تعالى، وذلك يكون بامتثال أوامر الله تعالى جميعًا، وأنبه هنا على أمور يقع تفريط الطلاب فيها، فمن ذلك:

---

(١) صحيح: مسلم (٥/ ٥٢٠) ط. الشعب.

(٢) السابق

(١) المحافظة على الصلاة في الجماعة:

ومعلوم أن صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعًا وعشرين درجة كما جاء في الحديث الصحيح ومعلوم كذلك أن النبي ﷺ لم يجز لأحد من الرجال القادرين أن يتخلف عن الجماعة حتى إنه لم يأذن لرجل أعمى أن يصلي في بيته ما دام يسمع الأذان.

(٢) تلاوة القرآن والمحافظة على الأذكار اليومية:

ليكن لك حزب أو ورد يومي من كتاب الله تعالى ومن الأذكار الواردة عن النبي ﷺ في الصباح والمساء وغير ذلك.

فحاول أن تلزم نفسك بقراءة جزء من القرآن كل يوم بحيث تختم القرآن كل شهر مرة، فإن لم تستطع فاقرأه في شهرين بأن تقرأ كل يوم حزبًا أي نصف جزء، فإذا كان أيام الامتحان أو الشهر الأخير فيمكن قراءته في خمس دقائق، أو عشر دقائق قراءة متأنية.

واعلم أن المواظبة على ذلك من أسباب البركة والنجاح والتوفيق.

(٣) ترك سماع الغناء:

اعلم أن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع كما جاء في الأثر لاسيما ما كان منه في العشق والشوق ونحو ذلك وقد ثبت في صحيح البخاري حرمة سماع المعازف[١] وهي تشمل كل آلات الموسيقى، وجاء في الحديث أنها مزمار الشيطان[٢].

(٤) عدم وضع الصور العارية ونحوها في حجرة المذاكرة:

وهذا أيضًا مما يشوش على الطالب، ويكون سببًا في حضور الشياطين، وذهاب

---

(١) صحيح: البخاري (٥٥٩٠).

(٢) صحيح: البخاري (٣٧١٦)، ومسلم (٨٩٢).

الملائكة، ففي الحديث الصحيح: "أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة"[١].

(٥) ترك الاختلاط والتبرج والسفور:

على طالب العلم أن يعلم أنه مأمور بغض بصره عن النساء، وكذلك النساء مأمورات بغض أبصارهن عن الرجال، وقد ذكر أهل العلم أن حرمة الملامسة والمصافحة للنساء الأجانب أشد من حرمة النظر، لأن فيها النظر وزيادة.

وهذا كله يدل على حرمة الاختلاط بين الرجال والنساء على طريقة الاختلاط الجامعي الذي يكون فيه الضحك والتمتع والمصافحة والنظر وغير ذلك، وهذا كله مما يشوش القلب والفكر. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[٢].

فانظر إلى قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ أي: أن ترك النظر أزكى للنفس وأطهر للقلب، فلا يكون القلب مشوشًا ولا الفكر مشغولاً بشيء غير غايته ومراده وهي طاعة الله تعالى وعبادته.

النصيحة السادسة: مصاحبة الفضلاء وترك مخالطة أهل السوء

ويكفي للموعظة في ذلك تدبر حديث النبي ﷺ: "مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة"[٣].

---

(١) صحيح: البخاري (٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦).
(٢) النور: ٢٩، ٣٠.
(٣) صحيح: البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

النصيحة السابعة: كن شحيحًا بوقتك

اعلم أن الوقت هو رأس مال المسلم في تجارته مع الله، فالأعمال لا بد لها من ظرف تؤدى فيه، وهذا الظرف هو الوقت فاحرص عليه، قال رسول الله ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ"[1] فاحرص على وقت فراغك، ولا تضيعه فيما لا يفيدك، ولا يجدي عليك كبير فائدة[2].

النصيحة الثامنة: تجنب الجدال والمراء

من الأسباب المضيعة لوقت طالب العلم، كثرة الجدال والمماراة مع الزملاء والأقران، وقد يكون هذا الجدال فيما لا ينفع ولا يفيد كالمجادلة في مباريات الكرة، وأن الفريق الفلاني أفضل وأفضل، وأن الهدف الذي أحرزه هذا الفريق أو ذاك غير صحيح، أو غير ذلك مما تضيع به الأوقات والأعمار وتمتلئ النفوس بسببه بالأضغان والأحقاد.

النصيحة التاسعة: لا تتبع كل ناعق

ما أكثر الدعوات في الجامعة للحق أو الباطل!

فثمة فريق يروج أفكارًا إباحية تدعو إلى الاختلاط والفجور!

وثمة فريق يروج لأفكار شيوعية إلحادية!

وثمة فريق يروج لأفكار وثنية فرعونية! تمجد فيها أسماء الفراعنة وآثار الفراعنة، وغير ذلك بالحضارة المصرية، والحق أن الحضارة بزعم إحيائها لا تحيا بتلك الآثار البالية لأولئك الوثنيين، وإنما تحيا بالانتماء للإسلام وحضارته وقيمه، وتحيا بالعلم والعمل الجاد الدءوب لا بالشعارات الزائفة والآثار البالية.

---

(١) صحيح: البخاري (٦٤١٢).

(٢) لنا رسالة في ذلك بعنوان: "الفراغ نعمة أم نقمة" فراجعها، فإنها مفيدة في بابها.

كذلك فإن هناك دعوات علمانية تدعو إلى التنصل من الدين، وعدم الزج به على زعمهم في أمور الحياة وتلك كهنوتية كنيسية لا يعرفها الإسلام، فالإسلام دين حياة.

كذلك فإن هناك دعوات إسلامية ولكنها مفرقة للصف تدعو إلى عصبية لجماعة بعينها أو حزب بعينه دون باقي المسلمين[1].

فعلى المسلم أن يتجنب تلك الدعوات كلها ويتعاون مع إخوانه من المسلمين لإقامة دين الله تعالى دون عصبية أو فرقة للصف، بل نجتمع جميعًا على الأصول الثابتة التي لا يختلف عليها المتمسكون بالسنة الملتزمون بها دون التعصب لاتجاه أو فريق بعينه، فإن هذا مما يزيد الأمة فرقة ووهنًا.

النصيحة العاشرة: مطالعة أخبار السلف الصالح وذوي الهمم العالية:

اعلم أن من خير ما يحمي الهمم، ويشحذ العزائم هو مطالعة أخبار السلف الصالحين الذين اجتهدوا في تحصيل تلك العلوم، وتركوا لنا تراثًا هائلاً من العلوم والمعارف عجزت الأمة إلى اليوم أن تقوم به وتستوعبه فقد كان لهؤلاء القوم همم عجيبة، وأعمال عظيمة تفوق عندي تلك الأهرامات التي يفخر بها الذين يمجدون الفرعونية.

فإن تسخير الأمة في صنع تلك الأهرامات ليس بأعجب من أن يكتب رجل كالسيوطي بنفسه أكثر من ألف مصنف، بعض تلك المصنفات يزيد على عشرة مجلدات ضخمة.

وليس بأعجب من مسند الإمام أحمد وقد حوى أكثر من ثلاثين ألف حديث

---

(١) انظر كتابنا في ذلك (دراسات حول الجماعة والجماعات) فقد وصفه الدارسون بأنه أقوى وأدق ما صنف في هذا الموضوع.

انتخبها الإمام أحمد من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث يحفظها جميعًا، وقد سئل كم يجزى الرجل ليفتي: أيجزيه أن يحفظ مائة ألف حديث؟ قال: لا. قال يجزيه أن يحفظ مائتي ألف حديث؟ قال: لا. قال: يجزيه أن يحفظ ثلاثمائة ألف حديث؟ قال: لا. قال يجزيه أن يحفظ أربعمائة ألف حديث؟ قال: أظن أن ذلك يجزئه، فهذه كانت همة القوم، لأنهم اتخذوا العلم عبادة وسبيلاً يبلغهم طاعة ربهم[1].

❁❁❁

(١) للمزيد من أخبار السلف الصالح: راجع رسالتنا: "نوادر السلف الصالح" وراجع كتاب "علو الهمة" للشيخ محمد إسماعيل المقدم، وكتاب "علو الهمة" د/ سيد العفاني.